يزيد بن ضبة

مقدمة موسيقية...

مقدمة كلامية..

أبو الفرج: قال عبد العظيم: كان جدي يزيد بن ضبة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متصلاً به لا يفارقه فلما أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدي مهنئاً بالخلافة فلما استقر به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تثني عليه والشعراء تمدحه، مثل جدي بين السماطين فاستأذنه في الإنشاد، فلم يأذن له وقال: عليك بالوليد فامدحه وأنشده، وأمر باخراجه.

عزف موسيقي..رجل يغني..

ألا من مُبلغٌ عَنّي هِشاماً فما منا البلاءُ وما بَعُدنا

وما كنا إلى الخلفاء نُفضي ولا كنا نُؤخَّرُ إن شَهِدنا

ألم يكُ بالبلاءِ لنا جزاءٌ فنُجزى بالمحاسنِ أم حُسِدنا

وقد كان الملوك يَرون حقاً لوافِدِنا فنُكرمُ إن وَفَدنا

وَلينا الناس أزماناً طِوالاً وسُسْناهم ودُسناهم وقُدنا

وكان أبوك قد أسدى إلينا جَسيمةَ أمرِهِ وبه سَعدنا

همُ آباؤنا وهُم بَنونا لنا جُبلوا كما لهم جُبلنا

الوليد: من صاحب هذا الصوت؟

يزيد بن ضبة: أنا أيها الأمير.

الوليد: وما الذي دفعك إلى نظمه؟

ابن ضبة: عمك هشام أمير المؤمنين.

الوليد: ألا تقول لي ماذا كان بينك وبينه؟

ابن ضبة: دخلت مجلسه كما دخله عدد من الخطباء والشعراء فلما مثلت بين السماطين أنشده شعراً في مدحه رفض الاستماع إليّ وقال: عليك بالوليد فأمدحه وأنشده ثم أمر بإخراجي.

الوليد: هكذا إذاً؟ إنّها الحرب يعلنها عمي منذ البداية..

ابن ضبة: لو كنت أعلم رأيه فيك أيها الأمير ما قدمت عليه ولا نظمت فيه شعراً..

تم تحميل هذا الملف من مكتبة الأديب الراحل رمضان عبدالرحمن لاوند (سيّد المنابر) www.RamadanLawand.com
مع الاحتفاظ بكامل حقوق الطبع و الملكية الفكرية ،لمزيد من المعلومات يرجى مراسلتنا :info@RamadanLawand.com

الوليد: وأنّى لك أن تعلم يا يزيد وأنا شخصياً لم أكن أترقب مثل هذا الموقف؟

ابن ضبة: ولا أخفي عليك أيها الأمير أنّني أحسست بالهوان يتسلل إلى جسدي فيحرقه حتى العظام ثم قلت في نفسي لي غير مجلس الأمير مكاناً أنفس فيه عن كربي وأزيل به بعض ما أكتوي به من الألم.

الوليد: إسمع يا يزيد كنت أتمنى أن أمسح آثار ما حدث عن نفسك لكنك تعلم ما أعلم..إنّ السلطان بيد هشام أخذه مني في غفلة من الدهر..

ابن ضبة: أيها الأمير يكفيني قربك..ويرضيني رضاك..ثم لا أبالي ما يصدر عن هشام..

الوليد: أعلم هذا جيداً ولكنّني أحذرك عمي فأنا لا آمنه عليك.

ابن ضبة: وما عساه يفعل في ظنك.

الوليد: كل شيء..بل كل ما تتصوره في خيالك ولولا ذلك ما جعلتك تفارقني..

ابن ضبة: فهل تريدني أن أرحل عنك؟

الوليد: حماية لك منه ومن رجاله الذين قد يتقرب بعضهم إليه بالاساءة إليك خذ يا يزيد. هذا كيس فيه خمسمائة دينار ثم أخرج من يومك هذا إلى الطائف وعليك بما لي هناك فقد سوغتك جميع علته ومهما احتجت إليه من شيء بعد ذلك فألتمسه مني..

ابن ضبة: لا عجب أيها الأمير أن أنال من سيبك فأنلت وأن أحظى بعطائك فأنت تضيف طريفاً إلى تليد..

الوليد: حسن يا يزيد..أخرج منذ الساعة قبل أن تبلغ هذه القصيدة أسماع هشام ومن حوله فلا أعود قادراً على حمايتك وإنجادك.

ابن ضبة: أفعل إن شاء الله..

نقلة....

أبو الفرج: ولم يزل يزيد بن ضبة مقيماً بالطائف إلى أنّ ولي الوليد بن يزيد الخلافة فوفد إليه فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنأه بالخلافة، فأدناه الوليد وضمه إليه ثم قال لأصحابه: هذا طريد الأحول لصحبته إياي وانقطاعه إليّ فأستأذنه يزيد في الإنشاد وقال له: يا أمير المؤمنين، هذا هو اليوم الذي نهاني عمك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغته بعد اليأس، والحمد لله على ذلك فأذن له الوليد بإنشاد قصيدته:

عزف موسيقي..امرأة تغني.....

سليمى تلك في العير قفي أسألك أو سيري

إذا ما بنت لم تأوي لصب القلب مغمور

وقد بانت ولم تعهد مهاة في مها حور

لقد لاقيت من سلمى تباريح التناكير

دعت عيني لها قلبي وأسباب المقادير

لسلمى رسم أطلالٍ عفتها الريح بالمور

فأوحش إذ نأت سلمى بتلك الدور من دور

جميلة: ماذا بك يا يزيد..يبدو أنّك لم تكن معي حين كنت أغني لك؟

ابن ضبة: بلى يا جميلة..ولكنك حين بلغت البيت الأخير من الصوت عادت بي الذكرى إلى أيامي مع الأمير الوليد بن يزيد..

جميلة: وما الذي يشدك إليه؟ بل أين أنت منه يا يزيد؟

ابن ضبة: هل تعلمين يا جميلة أنّ البيت الذي يظلنا نحن الاثنين والمال الذي ينفقه والبساتين التي أحظى بغلتها هي من الوليد؟ وهل تعلمين أنّ كل ما لقيته في حياتي من خير وما حظيت به من توفيق هو بعض ما يوزعه الوليد على أصحابه الموالين له؟

جميلة: لكن الوليد كما يقول كل الناس غير من ذكرت؟ الناس كلهم يتحدثون عن كفره وضلالاته وافساده لأهل بيته ولكل من يتصل به من الناس هذا يتناقله الرجال والنساء همساً حين تكون الحاجة ماسة إلى الهمس وبصوت مرتفع حين يأمنون على أنفسهم..

ابن ضبة: هذه كلها أكاذيب يا جميلة..إنّها تصنع بتدبير محكم ثم يجري تناقلها بين الناس في المجالس الخاصة والأسواق العامة بتشجيع من هشام بن عبد الملك.

جميلة: لكن الأكاذيب لا بد وأن تنكشف..فيعرف الناس حقيقة أمرها..

ابن ضبة: هذا إذا تركت الوقائع تتحدث عن نفسها..أما ما يجري في هذه الأيام فهو خلاف ذلك..إنّ الذين يصنعون التاريخ في هذه الأيام هم الذين يريدون به شراً..وهم الذين يخفون الحقيقة عن العامة..ولا تنسي أن المنافقين والصائدين في الماء العكر والمنتفعين يكثرون في مثل هذه الظروف..ثم قولي لي يا جميلة: من هو الانسان الذي يقدم على حماية الوليد من ألسنة السوء وهو يعلم أنّ أصحاب السلطان هم أصحاب هذه الألسنة؟

جميلة: ولماذا تعرض نفسك للمخاطر يا يزيد؟ هل تأمل يوماً في أن تنال من الأقوياء بدفاعك عمن لا حول له ولا طول؟ أربع على طلعك وكفكف من عزبك فإنّ أيامنا إن أنت أصدرت على العناد ستكون معدودة..

ابن ضبة: أين ذهب العرف بين الناس؟ وأين هي النخوة والمروءة؟

جميلة: لكنه قد تكلفك حياتك فتنهار كل الأحلام التي بنيناها لأسابيع وشهور!

ابن ضبة: وهل يمكن أن أحتفظ بحبك إن قيل لك يوماً إنّ يزيد بن ضبة رجل بعض اليد التي امتدت إليه لمساعدته؟ كلا يا جميلة..أنا أعلم أنّني أركب المركب الصعب..وأعلم أنّك ستشاركينني فيما سأصيبه من خير وشر..ثم لا تنسي أنّه لا خيار لنا في هذا الموقف..

جميلة: الكبار يختلفون ويقتتلون والصغار يدفعون الثمن.

ابن ضبة: كل يدفع ثمناً على قدر الدور الذي يقوم به وهل تتصورين يا جميلة أنّ الوليد بن يزيد لا يتعرض لخطر العدوان والايذاء في كل يوم؟ لقد كتب الكفاح على الرجال ولا حيلة لهم في تجنب النتائج المترتبة عليه.

جميلة: لا حول ولا قوة إلا بالله..إذاً سيبقى جنباً هدفاً للأعاصير والعواصف ولا يدري الواحد منا متى سينزل به سيف القضاء.

ابن ضبة: على أن تذكري حقيقة هامة..هي أنّ الوليد يعيش في صميم الخطر ويواجه مؤامرات أصحاب السلطان كل يوم..أما أنا والقليل من أنصاره الذين يؤثرون مشاركته في أيام بؤسه يعيشون بطلب منه بعيدين عن مواطن الخطر.

جميلة: لكن صاحبك يطمح إلى الملك ويلعب لعبة الحكم، بينما أنت لا ناقة لك في هذا الأمر ولا جمل..

ابن ضبة: كلا يا جميلة..كل منا يواجه من الأخطاء على قدر ما يطمح إليه من المعالي فالعدل قائم في توزيع المغانم المحتملة والأخطار المرتقبة.

طرق عنيف على الباب.....

جميلة: لم هذا الطرق العنيف لكأنّك طلبة السلطان.

ابن ضبة: سأرى من الطارق ولا تنسي أن تحافظي على هدوء نفسك.

يعود الطرق مرة أخرى.....

أبو الزبير: " يرفع صوته من وراء الباب " أين أنت يا يزيد؟

ابن ضبة: " حركة فتح الباب " أهلاً..أهلاً بك يا أبا الزبير..

أبو الزبير: مرحباً يا يزيد بن ضبة..

ابن ضبة: مرحباً بك..لم الطروق في مثل هذا الوقت المتأخر؟

أبو الزبير: ألا أدخل أولاً؟

ابن ضبة: بل تدخل على الرحب والسعة..

أبو الزبير: " فترة صمت " ألم تسمع بالخبر الجديد؟

ابن ضبة: أي خبر تعني؟

أبو الزبير: مات هشام بن عبد الملك.

ابن ضبة: ما ما ماذا؟ ماذا تقول؟

أبو الزبير: أقول لك: مات هشام بن عبد الملك.

ابن ضبة: " يصرخ " أخرجي يا جميلة؟ أخرجي وإسمعي..لكن هذا غير معقول؟ هل تريد أن تمزح معي؟ تعالي وإسمعي ما يقوله صديقنا أبو الزبير..

جميلة: سلام الله عليك.

أبو الزبير: وعليك السلام أيتها السيدة..

ابن ضبة: هل تصدقين يا جميلة هذا الخبر؟ سبحانك يا رب!

جميلة: لو كنت مكان يزيد لعجبت عجبه..فلا تعتب عليه أيها السيد.

ابن ضبة: حسن..قل لي: كيف مات؟

أبو الزبير: مات كما يموت كل الناس.

ابن ضبة: يجب أن أتأكد من صحة الخبر لعلك أسأت السمع أو أسأت الفهم أو كذب عليك من نقل الخبر إليك.

أبو الزبير: كلا يا يزيد..الخبر صحيح..وقد جاء به البريد إلى الوليد وأنا معه في الصحراء بعيداً عن دمشق.

ابن ضبة: الحمد لله..يجب أن نرحل منذ الساعة.. إنّ الوفاء يفرض علينا أن نكون إلى جانب أمير المؤمنين الوليد بن يزيد..

أبو الزبير: هون عليك..لقد أتيتك لهذا الغرض وبأمر من أمير المؤمنين نفسه..

ابن ضبة: إنّك يا أبا الزبير تستحق جائزة عظيم..فماذا أقدم إليك؟

جميلة: وماذا تستطيع أن تقدم إليه..أليس أنّ البيت وما فيه والغلة التي تحصل عليها هي ملك أمير المؤمنين..

ابن ضبة: "كمن يستدرك" صدقت يا جميلة..لعلك تعذرني يا أبا الزبير إن لم أستطع أن أقدم إليك غير شكري وعرفاني..

جميلة: وفي يقيني أنّ أبا الزبير يعذرك..

ابن ضبة: إذاً نغادر الطائف منذ الساعة.

أبو الزبير: كلا يا يزيد..بل ننتظر حتى الغد ثم نفكر.. فأنا متعب جداً هل نسيت أنّني وصلت إليك بعد أيام من السير المتواصل؟

ابن ضبة: كان يجب أن أدرك هذا منذ البداية..

جميلة: أبو الزبير على حق..دعه يسترد أنفاسه ويستعيد راحة جسمه ثم نتوجه غداً أو بعد غد إلى بلاد الشام.

ابن ضبة: حسن..ننتظر حتى تفضح العصافير أنوار الصباح..ثم ننطلق " ويتابع كلامه شعراً ".....

لِتَعْتَامَ الوليدَ القَرْمَ ... أهلَ الجود والخِيرِ

كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ ... مع الخُورِ الجَرَاجِيرو

ويُعطى الذهبَ الأحمر ... وَزْناً بالقناطير

بلَوْناه فأحمدناه ... في عُسْر وميسور

كريمُ العُود والعُنْصر ... غَمْرٌ غير منزور

إمامٌ يُوضِح الحقَّ ... له نور على نور

أبو الزبير: " يصفق " أحسنت يا يزيد..فقد بدأ لسانك ينطلق من عقاله " يضحك "..

خيل تنطلق بسرعة ثم يبطؤ سيرها شيئاً فشيئاً.....

ابن ضبة: السلام عليك يا أمير المؤمنين..

الوليد: وعليك السلام يا ابن ضبة..وأخيراً عدت إلى بلاد الشام آمناً على نفسك عائجاً إلى سربك أُدنُ مني يا يزيد..

ابن ضبة: فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين..وأخيراً حصحص الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقا..

الوليد: كل هذا بأمر الله.." يلتفت إلى من حوله " أيها الناس لعلكم تتساءلون من هو هذا الرجل الذي نحسن إستقباله؟ إنّه يزيد بن ضبة طريد الأحول هشام لا لشيء إلا لسابق صحبته إياي وانقطاعه إليّ.

ابن ضبة: هل تأذن لي يا أمير المؤمنين بالإنشاد؟

الوليد: أبمثل هذه السرعة؟

ابن ضبة: نعم يا أمير المؤمنين..إنّ هذا اليوم هو الذي نهاني عمك هشام عن الإنشاد فيه وقد بلغته بعد اليأس منه والحمد لله على ذلك.

الوليد: " يضحك " حسن يا يزيد..فأنشد ما عندك..

نقلة موسيقية.....

عبد العظيم: هكذا اجتمع الشمل بين جدي الشاعر يزيد بن ضبة وبين ولي نعمته وصديقه الوليد بن يزيد..

أبو الحسن: وبعد يا عبد العظيم..ماذا صار إليه أمر جدك من بعد؟

عبد العظيم: تقول لي: ماذا صار إليه أمره؟ لقد نعم بالقرب من الوليد كما لم ينعم شاعر من قبله تصور يا أبا الحسن أنّ الوليد أمر بعد أبيات القصيدة التي أنشدها جدي في ذلك اليوم فكانت خمسين بيتاً ثم أمر بأن يدفع له ألف درهم لكل بيت..

أبو الحسن: هذا يعني أنّه حصل على خمسين ألف درهم..

عبد العظيم: بلى..وهو عطاء لم يحظ به شاعر قبله ولا بعده باستثناء شاعرين هما مروان بن أبي حفصة ومنصور النمري الذين منح هارون الرشيد كلا منهما مثل هذا المبلغ حين بلغه خبر جدي مع الوليد..

أبو الحسن: ألا تزيدني حديثاً عن جدك؟

عبد العظيم: بلى..لقد كان يزيد بن ضبة مولى ثقيف ولكنه كان فصيحاً يطلب القوافي المعتاصة والحوشي من الشعر..يشهد على ذلك أكبر رواة العصر الأصمعي نفسه..

أبو الحسن: لكن شعره يكاد لا يذكر ولا يروى فما الذي حال دون سيرورته ورواجه؟

عبد العظيم: هناك إجماع عند العلماء بالشعر ورواته أنّ جدي هذا قد نظم ألف قصيدة لكنه لم يرزق الراوية الذي يحفظ له شعره وهو يؤكدون يا أبا الحسن أنّ الشعراء الذين عاصروه أو جاؤوا بعد اقتسموا شعره وانتحلوه فأدخلوه في أشعارهم..

أبو الحسن: وماذا فعل أبناؤه وأحفاده من بعده؟ لماذا لم يحافظوا على هذه الثروة الكبيرة من الشعر؟

عبد العظيم: أما أبي عبد الله فقد شغله الصفق في الأسواق ولم يرزق الاهتمام بالأدب والأدباء..وأما أنا حفيده فيؤسفني أنّني لم أعرفه ولم أقع على أوراق قيد فيها شعره..لقد ذهب هو وشعره كما ذهب قسم كبير من شعر العرب ثم لم يبق من شعره غير قصائد قليلة رويت لك بعضها منذ قليل..

أبو الحسن: هناك شيء لم تتنبه إليه يا عبد العظيم..

عبد العظيم: وما هو يا أبا الحسن؟

أبو الحسن: إنّ الذي أذهب شعر جدك هو النهاية المحزنة التي انتهى إليها الوليد..ولعل الناس بعده قد خافوا السلطان الذي جاء بعد الوليد على أنفسهم فتناسوا شعره الذي تفرق في أفواه الشعراء وتناقلوه على أنّه لهم.

عبد العظيم: ربما كنت على حق لكنّني سأعضّ على ما بقي من شعره القليل بالنواجذ وسيبقى جدي آية وعلامة على الوفاء والصدق حتى يأتي يوم يقول فيه الناس: وفاء كوفاء ابن ضبة..

موسيقى نهاية...